مِن مَزاعم العرب في الجاهلية

أ. بشار بكور(*)

لا ريب أن عرب الجاهلية كانوا ذوي محامد ومناقب ، قيّدوها في شعرهم، ونقلها المؤرخون عنهم، وأكّدها النبيّ ﷺ في حديثه الشريف: «إنما بُعِثت لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاق». فمن هذه المناقب كرمُهم الفيّاض الذي عرفه القاصي والداني، وكان من أمارات كرمهم وسماحة نفوسهم أنهم «كانوا يوقدون النار ليلاً على الكُثبان والجبال، ليهتدي إليها التائهون والضالون في الفيافي، فإذا وفدوا عليهم أمّنوهم حتى لو كانوا من عدوّهم...وكانوا لا يقدّرون شيئاً كما يقدّرون الوفاء، فإذا وعد أحدُهم وعداً أوفى به وأوفت معه قبيلتُه بما وعد، ومن ثَمّ أشادوا بحماية الجار لأنه استجارَ بهم وأعطوه عهداً أن ينصروه، وجعلهم ذلك يعظّمون الأحلاف فلا ينقضونها مهما قاسوا بسببها من حروب... وليس هناك خَلّةٌ تؤكّد معنى العزة والكرامة إلا تمدّحوا بها، فهم يتمدّحون بإغاثة الملهوف وحماية الضعيف والعفو عند المقدرة، كما يتمدحون بالأنفة وإباء الضيم»(١).

(*) باحث في الأدب والتراث من سورية.

(١) العصر الجاهلي، للدكتور شوقي ضيف ص ٦٨-٦٩. وعن فضل العرب ومناقبهم، انظر: العقد الفريد ٣/ ٣٢٤ وما بعد، وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ١/ ١٨ وما بعد. وهناك عدد من الكتب المؤلفة في فضل العرب، منها «مَحَجَّة القُرَب في فضل العرب»=

لكن بإزاء هذه الخلال الحميدة، والصفات النبيلة، كانت لديهم اعتقاداتٌ عجيبة، وتقاليدُ غريبة، وعادات قميئة، مثل وأد البنات، والقمار، والشغف بالخمر، والأخذ بالثأر، الذي غدا شريعتَهم المقدسة، والحروب التي ربما أشعل أُوارَها سببٌ من الضآلة والتفاهة بمكان. وكانت للعرب في الجاهلية مزاعمُ كثيرة، هي من الصحة بعيدة، ومن البطلان قريبة، لا يتخلون عنها بحال، ولا يحيدون عنها قِيْدَ أُنمُلة؛ لأنها في اعتقادهم ضربةُ لازب، ولازمٌ واجب. سعيت في هذه المقالة إلى أن أجمع ما أمكنني جمعُه من هذه المزاعم، التي قسمتها خمسة أقسام: مزاعم في الحيوانات، ومزاعم في الجن، ومزاعم في الطب، ومزاعم في الكواكب، ومزاعم متفرقة.

مزاعم في الحيوانات

– من مزاعمهم في الحيواناتِ عقرُهم الإبلَ على القبور.

قال زِياد الأعجم يرثي المُغيرة بن المهلَّب:

إن الـــشَّجاعةَ والـــسَّماحةَ ضُـــمِّنا .. قَـبْرًا بِمَـرْوَ عـلى الطَّريـق الواضِـحِ

فـــإذا مَـــرَرْتَ بقـــبرِه فـــاعقِرْ بـــه كُـومَ الهِجَـان وكـلَّ طِـرْفٍ سـابِحِ[1]

=للعراقي(ت ٨٠٦هـ)، و«مبلغ الأرَب في فضل العرب» لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ)، و«خلاصة الذهب في فضل العرب» لعبد القادر بن محمد الجَزِيري (ت ٩٧٧هـ)، و«مسبوك الذهب في فضل العرب» لمرعي الكرمي (ت ١٠٣٣هـ).

(١) كوم، جمع كَوْماء: الناقة العظيمة السنام، الطِّرف: الأصيل من الخيل، السابح: الفرس الكثير الجري.

و انْــضَحْ جَوانــبَ قــبرِه بــدمائها فلقــدْ يكــون أخــا دمٍ وذبــائح[١]

نقل عبد القادر البغدادي في الخزانة عن ابن السِّيْد فيما كتبه على كامل المبرد: «اختلف في سبب عقرهم الإبلَ على القبور، فقال قوم: إنما كانوا يفعلون ذلك مكافأةً للميت على ما كان يعقر من الإبل في حياته، وينحره للأضياف. واحتجوا بقول الشاعر: وانضَحْ جوانبَ...

وقد قال قوم: إنما كانوا يفعلون ذلك إعظاماً للميت، كما كانوا يذبحون للأصنام. وقيل: إنما كانوا يفعلونه لأن الإبل كانت تأكل عظام الموتى، إذا بَليت، فكأنهم يثأرون لهم فيها. وقيل: إن الإبل أنفسُ أموالهم، فكانوا يريدون بذلك أنها قد هانت عليهم لعظم المصيبة »[٢].

- وقريب من هذا الزعم ما يسمى حَبْسَ البَلايا: كانوا إذا مات الرجل يشدّون ناقتَه إلى قبره، ويُقْبِلون برأسها إلى ورائها ويغطّون رأسها بوَلِيَّة، وهي البَرْذَعة، فإذا أفلتت لم تُردَّ عن ماءٍ ولا مرعى، ويزعمون أنهم إذا فعلوا ذلك حُشِرتْ معه في المعاد ليركبها[٣].

جاء في حديث عبد الرزاق: كانوا في الجاهلية يَعْقِرُون عندَ القبر بَقَرةً أَو ناقةً أَو شاةً ويُسمُّون العَقِيرَة البَلِيَّة. كان إذا مات لهم من يَعِزّ عليهم أَخذوا ناقة فعقلوها عند

(١) العقد الفريد ٣/ ٢٨٨.

(٢) الخزانة ١٠/ ٦.

(٣) صبح الأعشى ١/ ٤٠٤.

قبره فلا تُعلَف ولا تسقى إلى أَن تموت، وربما حفروا لها حَفِيرة وتركوها فيها إلى أَن تموت، وبَلِيَّة بمعنى مُبْلاةٍ أَو مُبَلاَّة[١]. وقد جاء النهي عن هذا الفعل في الحديث الشريف: «لا عَقْرَ في الإسلام»[٢]. قال أبو زبيد:

كالبَلايـــا رُؤوسُـــها في الوَلايـــا مانحـاتِ الـسَّمُوم حُـرَّ الخُـدودِ[٣]

– ومنها أن الناقة إذا نَفَرتْ فذُكرَ اسمُ أُمِّها وقفتْ، وأن البعير إذا نَدَّ فذُكِرَ أبٌ من آبائه وقف[٤]. قال الراجز:

أقـــول والناقـــة بي تَقَحَّـــمُ و أنـــا منهـــا مُكْلَئِـــزٌّ مُعْـــصِمُ

ويحـك مـا اسـمُ أمِّهـا يـا عَلْكَـمُ[٥]

– ومنها كَعْبُ الأرنب. قال الجاحظ: «وكانت العربُ في الجاهليَّة تقول: مَن عُلّق عليه كعبُ أرنب لم تصبهُ عينٌ ولا نفسٌ ولا سِحر، وكانت عليه واقيةٌ؛ لأَنَّ الجنَّ تهرب منها، وليست من مطاياها لمكان الحيض»[٦]. يقول في ذلك امرؤ القيس:

(١) اللسان (بلا).

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول ١١/ ١٦٢ (٨٦٨٤).

(٣) أساس البلاغة (ولي). والولايا: جمع الولية: البرذعة.

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ٢٣٥.

(٥) الزاهر ٢/ ٢٣٤، وأساس البلاغة واللسان (قحم). مكلئز: منقبض، ومعصم: مستمسك، وتقحمت الناقة: ندّت فلم يضبطها راكبها، ويروى بدل الناقة: «الوجناء» وهي الناقةُ الشديدة الصُّلبة. تاج العروس ٣٦/ ٢٤١ (وجن).

(٦) الحيوان ٦/ ٣٥٧.

يـــا هِنْـــدُ لا تنْكحـــي بُوهَـــةً عليـــه عَقِيقَتُـــه أحْـــسَبَا[١]

مُرَسَّـــعَةٌ بـــين أرســـاغه بـــه عَـــسَمٌ يبتغـــي أرْنَبـــا[٢]

ليجْعَـــل في يَـــدِهِ كَعْبَهَـــا حِـــذَار المنيَّـــة أنْ يَعْطَبـــا[٣]

و قال الشاعر:

ولا ينفَـعُ التَّعْـشيرُ إن حُـمَّ واقـعٌ ولا دَعْـدعٌ يُغْنِي ولا كَعْبُ أرنبِ[٤]

قيل لزيد بن كُثْوة: أحقٌ ما يقولون: إنّ مَن علق على نفسه كعبَ أرنب لم يقرَبه جِنَّانُ الحي وعُمَّار الدار؟ فقال: إي والله! ولا شيطـانُ الحَماطةِ (الحماطة: شجرة التين)[٥]، وجانُّ العُشَرَة[٦]، وغُول القَفْرِ، وكلّ الخوافي، إي والله يطفئ نيران السعالي[٧].

(١) البُوهة: الرجل الذي لا خير فيه ولا عقل، العقيقة: الشعر الذي يولَد به الطفل، يريد أنه لا يتهيأ ولا يتنظّف، أحسبا: صُهْبة تضرب إلى الحمرة، وهي مذمومة عند العرب.

(٢) المرسعة: كالمعاذة، و هو أن يؤخذ سيرٌ فيخرَق فيدخل فيه سير فيجعل في أرساغه دفعاً للعين. العسم: يبسٌ في المرفق يعوجّ منه الكف.

(٣) ديـوان امـرئ القـيس ص ١٢٨، والحيـوان ٦/ ٣٥٧–٣٥٨. وشرح الأبيـات مـأخوذ مـن الديوان، ومن تحقيق المرحوم عبد السلام هارون للحيوان.

(٤) الحيوان ٦/ ٣٥٨.

(٥) جاء في اللسان عن الأَزهري أن العرب تقول لِجِنْسٍ من الحيّاتِ: شيطانُ الحَماط، وقيل: الحماطة بلغة هذيل: شجر عِظامٌ تنبت في بلادهم تأْلفها الحيات. (حمط). وانظر الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٧٤.

(٦) العُشَرة: واحدة العُشَر، من العِضَاه وهو من كِبَارِ الشَّجَرِ وله صَمْغٌ حُلْوٌ وهـو عَـرِيضُ الـوَرَق يَنْبُت صُعُداً في السَّماءِ ويَخْرُج من زَهْرِه وشُعَبه سُكَّرٌ. التاج ١٣/ ٥٤ (عشر).

(٧) التذكرة الحمدونية ٧/ ٣٣٧.

– ومنها: التعمية والتفقئة: كان الرجل إذا بلغت إبلُه ألفاً فقأ عينَ الفحل يقول: إن ذلك يدفع عنها العينَ والغارة، فإن زادت عن ألف فقأ العين الأخرى، فهو التعمية[١]. وهذا ما يسمى بالمُفَقَّأ والمعمَّى في أشعارهم، كما ذكره الجاحظ[٢]. قال بعضهم:

فقـأتُ لهـا عَـيْنَ الفَحِيـل عِيَافَـةً وفـيهنّ رَعْـلاَءُ المـسامِع والحـامي[٣]

و قال آخر:

وهبتَهـا وأنـتَ ذو امتنـانِ تُفْقَـأُ فيهـا أَعْـيُنُ البُعْـرانِ[٤]

و قال آخر:

و كـان شُـكْرُ القـومِ عنـد المِـنَنِ كَـيَّ الـصَّحيحات وفَقْـأَ الأعْـيُنِ[٥]

– ومنها تعليق سِنِّ الثعلب، وسن الهرة. كانوا يزعمون أن الصبي إذا خِيف عليه نظرةٌ أو خَطْفةٌ فعُلِّقَ عليه سن الثعلب أو الهرة، سَلِم من آفته، وأن الجنية إذا أرادته لم تقدر عليه[٦].

– ومنها أن الحُرْقُوص (وهو دُوَيْبَّة أكبر من البرغوث) تدخل في فروج الأبكار فتَفْتَضُّهُنَّ[٧].

(١) نهاية الأرب ٣/ ١٢١.

(٢) الحيوان ١/ ١٧.

(٣) المرجع السابق. وفسر الجاحظ الرعلاء التي تشقّ أذنها وتترك مدلّاة، لكرمها.

(٤) عيار الشعر ص ٥٣.

(٥) المرجع السابق ص ٥٤.

(٦) صبح الأعشى ١/ ٤٠٦.

(٧) التذكرة الحمدونية ٧/ ٣٣٨.

- ومنها بكاء الحمام. يزعمون أن السبب في بكائه أنه أضلَّ فرخاً على عهد نوح، فهو يبكيه، وهو الهديل[١].

- ومنها أن أكل لحوم السباع يزيد في الشجاعة والقوة[٢]. قال بعضهم:

أبا المعارِكِ لا تتعبْ بأكلك ما ... تظن أنَّك تُلفَى منه كرَّارا

فلو أكلتَ سباعَ الأرض قاطبةً ... ما كنت إلا جبانَ القلب خَوّارا[٣]

- ومنها حَيْضُ الضبُع. زعموا أنها تحيض وأنها تتتاب جِيَفَ القتلى فتركب كَمَرَها[٤].

- ومنها أن الغول إذا ضُرِبتْ ضَربةً واحدة ماتت، إلاّ أن يُعيد عليها الضّاربُ قبل أن تقْضي ضربةً أخرى، فإنّه إن فعل ذلك لم تمُتْ[٥].

قال أبو الغول الطُّهَويُّ:

لَقِيتُ الغُولَ تسْرِي في ظَلامٍ ... بسَهْبٍ كالصَّحيفةِ صَحْصَحانِ

فقلتُ لها: كلانا نِضْوُ قَفْرٍ ... أخُو سفَرٍ فَصُدِّي عن مَكاني

فَصَدَّتْ وانتَحيتُ لها بعَضْبٍ ... حُسامٍ غيرِ مؤتشِبٍ يماني

فقَدَّ سَراتَها والبَرْكَ منها ... فخرَّتْ لليدينِ وللجِرانِ

(١) التذكرة الحمدونية ٧/ ٣٣٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٩/ ٤٠١.

(٣) بلوغ الأرب ٢/ ٣٢٣.

(٤) التذكرة الحمدونية ٧/ ٣٣٧.

(٥) الحيوان ٦/ ٢٣٣- ٢٣٥.

فقالت: زدْ[١] فقلتُ لها: رويداً مكانَكَ إنني ثَبْتُ الجَنانِ[٢]

وقال آخر:

فَثَنَّيتُ والمِقدارُ يحرُسُ أهلَهُ فَلَيْتَ يميني قبل ذلك شُلّتِ[٣]

– ومنها قولهم في الدعاء: «لا عشتَ إلى عيش القُرَاد» يضربونه مثلاً في الشدة والصبر على المشقة يزعمون أن القراد يعيش ببطنه عاماً وبظهره عاماً، ويقولون: إنه يُترَك في طينة ويُرمَى بها الحائط فيبقى سنةً على بطنه ، وسنة على ظهره، ولا يموت[٤].

مزاعم في الجن

– من مزاعمهم في الجن أنها تركب الثيرانَ فتصدّ البقرَ عن الشرب، فيضربون الثورَ ليشرب البقر[٥]. و كما يذكر الجاحظ: كانوا إذا أورَدُوا البقرَ فلم تشرَب، إمَّا لكَدَر الماء، أَو لقلَّةِ العطَش، ضربوا الثورَ ليقتَحِم الماء، لأنَّ البقرَ تَتْبَعه كما تتْبع الشَّوْلُ الفحلَ، وكما تتبع أُتُنُ الوحشِ الحِمارَ[٦]. قال الأعشى:

فإنّي وما كَلَّفتموني وربِّكم لأعلَمُ مَن أمسى أَعقَّ وأَحْوَبا

لكالثورِ والجنيُّ يضرِب ظَهْرَه وما ذنبُه إن عافتِ الماءَ مَشْرَبَا

(١) طلبت منه الغول أن يضربها مرة ثانية لتحيى وتقوى.

(٢) الأبيات في الحماسة البصرية ٤/ ١٦٣٤.

(٣) الحيوان ٦/ ٢٣٤.

(٤) شرح نهج البلاغة ١٩/ ٤١٠.

(٥) صبح الأعشى١/ ٤٠٥.

(٦) الحيوان ١/ ١٨.

وما ذنبُه إن عافتِ الماءَ باقرٌ وما إنْ تعافُ الماءَ إلا ليُضْرَبا[١]

و قال نَهْشلُ بنُ حَرِّيٍّ:

أتُتْرَكُ عارضٌ وبنو عَدِيٍّ وتَغْرَمُ دارِمٌ وهُمُ بَرَاءُ

كدأبِ الثَّوْرِ يُضْرَبُ بالهَراوى إذا مَا عَافَتِ البَقَرُ الظِّمَاءُ[٢]

وقال أَنَس بن مُدْرِكة الخثعمي:

إنّي وقَتْلي سُلَيْكاً ثمَّ أعْقِلَهُ كالثَّورِ يُضرَب لَمَّا عافَتِ البَقَرُ [٣]

– ومنها أنهم كانوا إذا قتلوا الثعبانَ خافوا من الجن أن يأخذوا بثأره، فيأخذون رَوْثة، ويفتونها على رأسه، ويقولون: روثة راث ثائرك. وقد يذر على الحية المقتولةِ يسيرَ رماد، ويقال لها: فتلك العين ثائر لك[٤].

– ومنها أنهم كانوا إذا طالت علةُ الواحد منهم وظنوا أن به مَسَّاً من الجن ، لأنه قتل حية أو يربوعاً أو قنفذاً، عملوا جمالاً من طين، وجعلوا عليها جُوالق، وملؤوها حنطة وشعيراً وتمراً، وجعلوا تلك الجمال في باب جُحْر إلى جهة المغرب وقت غروب الشمس، وباتوا ليلتهم تلك، فإذا أصبحوا نظروا إلى تلك الجمال الطين، فإذا رأوا أنها بحالها قالوا: لم تقبل الدية، فزادوا فيها، وإن رأوها قد تساقطت وتبدد ما عليها من المِيرة قالوا: قد قُبلت

(١) المرجع السابق ١/ ١٩.

(٢) المرجع السابق ١/ ١٩.

(٣) الحيوان ١/ ١٨، والفاضل ص ٨٥، ٣٠٣. أعقله: أدفع ديته، عافت البقر: امتنعت عن شرب الماء.

(٤) شرح نهج البلاغة ١٩/ ٤٢٥.

الدية، واستدلوا على شفاء المريض وضربوا بالدف، قال بعضهم:

قالوا وقد طالَ عَنائي والسقَمْ احمِلْ إلى الجنِّ بِمالاتِ وَضَمْ

قد فعلتُ والسَّقام لم يرِم فبالذي يملِكُ بُرئي أعتصِمْ[1]

– ومنها مَطايا الجن. يقول الجاحظ: «والأعراب لا يصيدون يَربوعاً، ولا قُنفذاً، ولا وَرَلاً من أول الليل، وكذلك كل شيءٍ يكونُ عندهم من مطايا الجنّ، كالنَّعام والظّباء. ولا تكون الأرنبُ والضَّبع من مراكب الجن، لأن الأرنب تحيض ولا تغتسل من الحيض، والضبِّاع تركبُ أيورَ القتلى والموتى إذا جيَّفتْ أبدانُهم وانتفخوا وأنعظوا ثم لا تغتسل عندهم من الجنابة، ولا جنابة إلا ما كان للإنسان فيه شِرْك، ولا تمتطي القرود، لأن القردَ زانٍ، ولا يغتسل من جنابة»[2].

مزاعم في الطب

– من مزاعمهم في الطب أنهم كانوا إذا خافوا على الرجلِ الجنونَ وتعرُّضَ الأرواحِ الخبيثة له، نجسوه بتعليق الأقذار عليه، كخرقة الحيض وعظام الموتى. قالوا: وأنفع من ذلك أن تعلق طامث عظام موتى ثم لا يراها يومه ذلك[3]. قال الشاعر:

فلو أن عندي جارتين وراقياً وعلَّقَ أنجاساً عليَّ المُعلِّقُ[4]

(١) شرح نهج البلاغة ١٩/ ٤١٨.

(٢) الحيوان ٦/ ٤٦.

(٣) بلوغ الأرب ٢/ ٣١٩.

(٤) المرجع السابق.

قالوا: والتنجيس لا يشفي من العشق، قال بعضهم:

يقولـون: علِّـقْ يـا لـك الخـير رُمَّـةً و هل ينفع التنجيسُ مَنْ كـان عاشـقاً[١]

وقالت امرأة وقد نجّست ابنَها فلم ينفعه ذلك ومات:

نجّـــسْتُه لا ينفـــعُ التنجـــيسُ والمـــوتُ لا تَفوتُـــه النفـــوسُ[٢]

– ومنها دَفْعُ الحَلَى عن الصبيان بجباية الحي وإطعامه الكلاب. كانوا يزعمون أن الفتى إذا ظهر فيه الحَلَى بشفته (وهي بُثورٌ تنبُت بالشَّفَة) فيأخذ مُنْخُلاً على رأسه، ويمر بين بيوت الحيّ وينادي: الحَلَى الحَلَى؛ فيُلْقى في مُنْخُله من هنا تمرةٌ، ومن هنا كِسْرة، ومن هنا قطعة لحم، فإذا امتلأ نثَره بين الكلاب فيذهب عنه الحَلَى[٣].

– ومنها أن دماء الملوك والأشراف تشفي من عضة الكَلْبِ الكَلِب.

قال أبو البرج القاسم بن حنبل:

هـــمُ حَلُّـــوا مـــن الـــشَّرَف المُعـــلَّى ومـن حَسَبِ العشيرةِ حيثُ شاؤوا

بُنـــاةُ مكـــارمٍ وأُســـاةُ كَلْـــمٍ دِمـــاؤهمُ مـــن الكَلَـــبِ الـــشِّفاءُ[٤]

وقال الفرزدق:

مِـــنَ الـــدارميِّين الـــذين دِمـــاؤهُمْ شِـفاءٌ مـن الـدَّاء المَجنّـة والخبْـلِ[٥]

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) صبح الأعشى ١/ ٤٠٧.

(٤) البيتان في دلائل الإعجاز ص ١٤٨، وشرح الحماسة ٢/ ١٦٥٨– ١٦٥٩.

(٥) الحيوان ٢/ ٦.

و قال أيضاً:

ولـو تَـشربُ الكَلْبـى المِـرَاضُ دماءَنـا شَفَتْها وذو الخَبْلِ الـذي هـو أدْنَـفُ[١]

ويزعمون أيضاً أن دماء الملوك تشفي من الجنون، كما في بيت الفرزدق الثاني، وكما في شعر الجاهلي عاصم بن القِرِّيَّة:

وداويتُـــهُ ممـــا بِـــهِ مـــن مَجَنَـــةٍ دمَ ابـــنِ كُهـــالِ والنِّطـــاسيُّ وَاقـــفُ

وقَلَّدْتُـــه دَهْـــراً تميمـــةَ جَـــدِّه ولـيس لِـشيءٍ كـادَهُ اللهُ صـارفُ[٢]

نقل الجاحظ عن بعضهم معنًى مجازيًّا مراداً بهذا الزعم، قال: «كان أصحابنا يزعُمون أنَّ قولهم: «دماء الملوك شفاءُ من الكلب»، على معنى أنَّ الدَّم الكريم هو الثأرُ المُنيم، وأنَّ داء الكلب على معنى قول الشاعر:

كَلِـبٌ مِـن حِـسِّ مـا قـد مـسَّهُ و أفـــــانينِ فُـــــؤاد مُخْتَبَـــــلْ

وعلى معنى قوله: كَلِبٌ بِضرْبِ جَماجمٍ ورِقابِ.

فإذا كَلِبَ من الغيظ والغضب فأدرك ثأره فذلك هو الشفاء من الكَلَب، وليس أنَّ هناك دماً في الحقيقة يُشربُ، ولولا قول عاصم بن القرِّيَّة: «والنِّطاسيُّ واقفُ»، لكان ذلك التأويلُ جائزاً. وقول عوف بن الأحوص:

ولا العنقـــاءُ ثعلبـــة بـــن عمـــرو دِمـــاءُ القَـــومِ للكَلْبَـــى شِـــفاءُ

وفي الكلب يقول الأعشى:

(١) الحيوان ٢/ ٧.

(٢) الحيوان ٢/ ٧. وكاده الله: أراده.

أُراني وعَمْـــراً بيننـــا دَقُّ مَنْـــشِمٍ فلـــم يبـــق إلا أنْ يُجَـــنَّ وأَكْلَبـــا

ألا ترى أنَّه فرَّق بينهما، ولو كان كما قال لبيد بن ربيعة:

يَـسْعَى خُزيمـةُ في قـومٍ لـيُهْلِكَهمْ عـلى الحمالـة هـل بـالمرء مِـن كلَـبِ

لكان ذلك على تأويل ما ذهبوا إليه جائزاً[١].

- ومنها أن روحاً شريرةً تحل في المريض، وكانوا يتداوون منها بالعزائم والرُّقى[٢].

- ومنها تسميتهم العَشَا في العين «الهُدَبِد»، وأصل الهدبد: اللبن الخاثر، فإذا أصاب أحدهم ذلك عمَد إلى سنامٍ فقطع منه قطعةً ومن الكبد قطعة، وقلاهما، وقال عند كل لقمة يأكلها بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته:

فيـــــا ســـــناماً وكبـــــدْ ألا اذْهَبـــــا بالهُدَبِـــــدْ

لـــــيس شـــــفاءُ الهدبـــــد إلا الـــــسَّنَامُ والكَبِـــــدْ[٣]

- ومنها كيُّ الإبل السليمة لكي تشفى الجربى. كانوا إذا وقع العُرُّ[٤] في إبل أحدهم اعترضوا بعيراً صحيحاً من تلك الإبل فكووا مشفره وعضده وفخذه، يرون أنهم إذا فعلوا ذهب العُر من إبلهم، كما قال النابغة:

---

(١) الحيوان ٢/ ٧- ٩.

(٢) العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ص ٨٤ .

(٣) التذكرة الحمدونية ٧/ ٣٣٧، وشرح نهج البلاغة ١٩/ ٤١٠.

(٤) العُر بالضم: قروح تخرج في مشافر الإبل وقوائمها، والعَرّ بالفتح: الجرب.

وكلفتَنـــي ذنْـــبَ امـــرئٍ وتركتَـــه كَذِي العُرِّ يُكْوَى غيرُه وهو راتعُ[١]

و قيل: إنما كانوا يكوون الصحيح لئلا يعلق به الداء، لا ليبرأ السقيم، حكى ذلك ابن دريد[٢]. قال أبو عبيدة: هذا أمرٌ لم يكن، وإنما هو مثل لا حقيقة. أي: أخذت البريء وتركت المذنب، فكنتَ كمن كوى البعير الصحيح، وترك السقيم، لو كان هذا مما يكون. قال: ونحو من هذا قولهم: «يشرب عجلان ويسكر ميسرة»، ولم يكونا شخصين موجودين[٣].

و قيل: أصل هذا أن الفصيل كان إذا أصابه العُرّ لفسادٍ في لبن أمّه عمَدوا إلى أمّه فكووها، فتبرأ ويبرأ فصيلها؛ لأن ذلك الداء إنما كان ليسري إليه في لبنها.[٤]

مزاعم في الكواكب

– من مزاعمهم في الكواكب أن لكل نوء أثراً في هذا الكون وفي الإنسان. فإذا حدث شيءٌ ووقع أمر نسبوه إلى نَوئِه. وفي جملة ما نسبوا أثره إلى الأنواء: حدوث المطر، فإذا أمطرت السماءُ نسبوا المطر إلى أثر النجم الطالع في ذلك الوقت. فيقولون مُطرنا بنوء كذا[٥].

(١) أدب الكاتب ص ٣١٠. وراتع: مقيم في المرعى.

(٢) الاقتضاب ص ٣٧١.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق. وعلق ابن السيد على هذا القول بأنه أغرب الأقوال وأقربها إلى الحقيقة.

(٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٨/ ٤٢٤.

- و منها أن الدَّبَران خطب الثريّا إلى القمر فقالت: ما أصنع بسُبَروتٍ[١] فساق إليها الكواكبَ المسماة بالقِلاص، مهراً فهربت منه فهو يطلبها أبداً ولا يزال تابعاً لها[٢].

- ومنها أَنَّ سُهَيْلاً كانَ عَشَّاراً على طَرِيقِ الْيَمَنِ ظَلُوماً فمَسَخَهُ اللهُ كَوْكَباً[٣].

- ومنها عبادة طائفةٍ من العربِ الشِّعْرى العَبورَ، قالوا: إنها عبَرت السماء عَرْضاً، ولم يعبُرها عَرْضاً غيرُها، فأنزل الله: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾[٤]. واعتقدوا أن الشِّعْرى الغُمَيْصاء سميت بذلك لأنها بكت على إثر العَبور حتى غَمِصت[٥].

- ومنها نَوْءُ السِّماك[٦]. كانوا يكرهونه ويقولون: فيه داء الإبل[٧].

قال الشاعر:

ليت السِّماكَ ونوءَه لم يُخلَقا ومشى الأُفيرق في البلاد سلّما[٨]

(١) السبروت: المفلس.

(٢) صبح الأعشى ٢/ ١٥٧.

(٣) التذكرة الحمدونية ٧/ ٣٤٠.

(٤) النجم: ٤٩.

(٥) التاج ١٢/ ١٩٥ (شعر).

(٦) من منازل القمر التي ربطوها بنزول المطر.

(٧) التذكرة الحمدونية ٧/ ٣٣٨.

(٨) نهاية الأرب ٣/ ١٢٦.

مزاعم متفرقة

– من مزاعمهم اختلاجُ العين. زعموا أن الرجل منهم كانت إذا اختلجت عينُه قال: أرى من أحبّه، فإن كان غائباً توقّعَ قدومَه، وإن كان بعيداً توقَّعَ قربَه[١].

قال بشر بن أبي خازم:

إذا اخْتَلَجَتْ عيني أقول لعلّها فتاةُ بني عمرو بها العينُ تُلْمِعُ[٢]

و قال آخر:

إذا اخْتَلَجَتْ عيني تيقَّنْتُ أنّني أراكِ وإن كان المَزار بَعيدا[٣]

ولغيره:

إذا اخْتَلَجَتْ عيني أقول لعلّها لرؤيتها تَهْتاج عَيْني وتُطْرَفُ[٤]

– ومنها استعمالهم للوشم في بعض المواضع من الجسد معتقدين أنه يقوّي المِفْصَل الذي وُشِمَ عليه[٥].

– ومنها الالتفات. كانوا يزعمون أنَّ مَن خرج في سفر، والتفت وراءه لم يتم سفره، فإن التفت تطيروا له[٦].

---

(١) سمط اللآلي ٣/ ٩٧.

(٢) المرجع السابق ٣/ ٣٢١.

(٣) المرجع السابق ٣/ ٩٧.

(٤) المرجع السابق ٣/ ٩٨.

(٥) بلوغ الأرب ٤/ ١١.

(٦) المستطرف ٢/ ٣٨٧.

- ومنها ما نقله المبرِّد من أن أنجَبَ الأولاد ولد الفارِك، وذلك لأنها تُبغِض زوجها، فيسبقها بمائه، فيخرج الشبه إليه، فيخرج الولد ذكراً. وقال بعض الحكماء: إذا أردت أن تنجب المرأةُ فأغضبها، ثم قَعْ عليها، فإنك تسبقها بالماء. وكذلك ولد الفزِعة[١]. قال في ذلك أبو كبيرٍ الهُذَلي:

ولقَدْ سرَيْتُ على الظلام بِمِغْشَمٍ ... جَلْدٍ من الفِتيان غيرِ مُثقَّلِ
مِمَّن حمَلْنَ به وهنَّ عَواقدٌ ... حُبُكَ النِّطاقِ فَشَبَّ غيرَ مُهبَّلِ
حمَلتْ به في ليلةٍ مَزْؤودةً ... كَرْهاً وعَقْدُ نِطاقِها لم يُحْلَلِ
فأتتْ به حُوشَ الفؤاد مُبطَّناً ... سُهُداً إذا ما نَام ليلُ الهَوْجَلِ[٢]

وقال بعضهم:

تَسنَّمتُها غَضْبى فجاءَ مُسهَّداً ... وأنفعُ أولادِ الرِّجالِ المُسهَّدُ[٣]

- ومنها أنه إذا غُمَّ عليهم أمرُ الغائب ولم يَعرِفوا له خبراً جاؤوا إلى بئر عادية (أي مظلمة بعيدة القعر)، أو جاؤوا إلى حفر قديم ونادوا فيه: يا فلان، أو يا أبا فلان، ثلاث مرات، ويزعمون أنه إنْ كان ميتاً لم يسمعوا صوتاً، وإن كان حيًّا سمعوا صوتاً ربما توهموه وهماً، أو سمعوه من الصدى، فبنوا عليه عقيدتهم، قال بعضهم:

---

(١) الكامل ١/ ١٧٥.

(٢) شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٧٢-١٠٧٣. حوش الفؤاد: وحشيُّ الفؤاد، مبطن: ضامر البطن، سهد: قليل النوم، الهوجل: الأحمق.

(٣) شرح الحماسة للمرزوقي ١/ ٨٦، وأساس البلاغة (سنم). تسنم المرأة: جامعها.

دعـوتُ أبـا المغـوار في الحفـرِ دعـوةً فـما آضَ صـوتي بالـذي كنـتُ داعيـا
أظـن أبـا المغـوار في قعـرِ مظلـمٍ تجـر عليـه الـذارياتُ الـسَّوافِيا[١]

– ومنها أنهم كانوا في الحرب ربما أخرجوا النساءَ فَبُلْنَ بين الصفَّيْنِ، يرون أن ذلك يطفئ نارَ الحرب ويقودهم إلى السلم[٢]. قال بعضهم:

لقُونـا بـأبوال النـساءِ جَهالـةً ونحـن نلاقـيهم ببـيضٍ قَواضـبِ[٣]

– ومنها أن الرجل منهم كان إذا عشق ولم يَسْلُ، وأفرط عليه العشقُ حمله رجلٌ على ظهره، كما يُحمَل الصبي، وقام آخر فأحمى حديدةً أو ميلاً وكوى بين أليتيه فيذهب عشقه[٤]. قال الشاعر:

كـويتُمْ بـين رانِفَتَـيَّ جهـلاً و نـارُ القلـب يُـضرمها الغـرامُ[٥]

– ومنها أن المرأة منهم كانت إذا عسُر عليها خاطبُ النكاح نشرت جانباً من شعرها، وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور، وحجلت على إحدى رجليها، ويكون ذلك ليلاً وتقول: يا لَكاح، أبغي النكاح، قبل الصباح، فيسهل أمرها وتتزوج عن قرب. قال رجل لصديقه وقد رأى أمه تفعل ذلك:

أمـا تـرى أمَّـك تبغـي بَعْـلا قـد نـشرتْ مـن شَـعرها الأقَـلّا

(١) شرح نهج البلاغة ١٩/ ٤١٩.
(٢) المرجع السابق ١٩/ ٤٢٠.
(٣) شرح نهج البلاغة ١٩/ ٤٢٠.
(٤) المرجع السابق ١٩/ ٤٠٠-٤٠١.
(٥) بلوغ الأرب ٢/ ٣٢١.

ولم تُـــوفِّ مُقْلَتيهـــا كُحْـــلا ترفَـــع رِجْـــلاً وتَحُـــطُّ رِجْـــلا
هـــذا وقـــد شـــابَ بنوهـــا أصـــلا وأصـــبح الأصـــغرُ مـــنهم كَهْـــلا
خـــذِ القطيـــعَ ثـــم سُـــمْها الـــذُّلَّا ضربـــاً بـــه تـــترك هـــذا الفِعْـــلا[١]

- ومنها أن النساء كانت إذا غاب عنهن من يحببنه أخذن تراباً من موضع رجله، وكانت العرب تزعم أن ذلك أسرع لرجوعه[٢].

- ومن مزاعمهم في النفس أنها هي الدم، وأن الروحَ الهواءُ الذي في باطن جسم الإنسان الذي منه نفسُه. وقالوا: إن الميت لا يوجد فيه الدم، وإنما يوجد في الحياة مع الحرارة والرطوبة؛ لأن كلَّ حيٍّ فيه حرارة ورطوبة، فإذا مات ذهبت حرارته وحلَّ به اليَبَسُ والبرودة. وطائفة منهم يزعمون أن النفسَ طائرٌ ينشط من جسم الإنسان إذا مات أو قتل، ولا يزال متصوِّراً في صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشاً له[٣].

- ومنها أن في البطن حيةً، تشتد على الإنسان عند الجوع[٤].

قال المتنشِر بن وهب[٥]:

لا يتـــأرَّى لمـــا في القِـــدْر يرقُبُـــه ولا يعَـضُّ عـلى شُرْسُـوفِه الـصَّفَرُ[٦]

(١) شرح نهج البلاغة ١٩/ ٤٠٨.
(٢) بلوغ الأرب ٢/ ٣٣٩-٣٤٠.
(٣) المستطرف ٢/ ٣٨٤.
(٤) المستطرف ٢/ ٣٨٥.
(٥) أو المنتشر بن هبيرة، شاعر جاهلي من الفرسان. ترجمته في الخزانة ١/ ١٨٨.
(٦) أمالي القالي ٢/ ٢٠١، وأدب الكاتب ص ٣٧.

جاء في خزانة الأدب: و«الصفر»: دويبة مثل الحية تكون في البطن تعتري من به شدة الجوع، قال في «النهاية»، في حديث «لا عدوى ولا هامة ولا صفر» : إن العرب كانت تزعم أن في البطن حية يقال لها الصفر تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، وأنها تعدي، فأبطل الإسلام ذلك. وقيل: أراد به النبي ﷺ النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية: وهو تأخير المحرم إلى صفر، ويجعلون صفر هو الشهر الحرام؛ فأبطله»[١].

– و منها أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبرُه، فإن أُهدِر دمه، أو قبلت ديته، يبقى قبره مظلماً[٢]. قالت كبشةُ أخت عمرو بن معدي كرب:

و أرسلَ عبدُ الله إذ حان يومُه إلى قومِه أن لا تُخَلُّوا لهم دَمي
ولا تأخذوا منهم إِفَالاً وأبْكُراً وأُتْرَكَ في بيتٍ بصَعْدةِ مُظلِمِ[٣]

– ومنها أن من دخل الشامَ نقص عمره وقتله نعيمُها[٤]. قال الشاعر[٥]:

يقولون: إن الشَّأْم يقتل أهْلَه فمَن لي – إن لم آته – بخُلودِ؟
تفرق آبائي فهلا صَرَاهُمُ مِن الموت أن لم يُشْئِموا وجُدودي!

– ومنها أن المولود إذا وُلِدَ يَتْناً (خروج رجل المولود قبل رأسه)، كان ذلك

(١) ١ / ١٩٧.

(٢) الزعم في مصادر الشعر الآتية.

(٣) النوادر للقالي ١/ ١٩٠، والخزانة ٦/ ٣٥٦-٣٥٧.

(٤) معجم ما استعجم ٢/ ٧٧٣.

(٥) البيت الأول بلا نسبة في درة الغواص ص ٣٤٠، ومع الثاني في الفصوص لصاعد ٣/ ١٣٩، وسمط اللآلي ٢/ ٧٧٤ صراهم: منعهم.

علامةَ سوء، ودليلاً على الفساد[١].

- ومنها أن من ولد في الليلة المقمرة، تقلصت غُرْلَتُه، فكان كالمختون[٢].

-و منها تصفيقُ الضالّ: كان الرجل منهم إذا ضلَّ في الفلاة قَلَب ثيابَه وحبس ناقتَه وصاح في أُذنها كأنه يومئ إلى إنسان، وصفّق بيديه قائلاً: الْوَحى الْوَحى[٣]، النَّجاءَ النَّجاءَ، هَيْكلُ[٤]، الساعةَ الساعةَ، إليَّ إليَّ، عجِّلْ، ثم يحرِّك ناقتَه، فيزعمون أنها تهتدي إلى الطريق حينئذ[٥]. قال الشاعر:

لعمرك ما لامَ الفتى مِثْلَ نَفْسِه ... إذا كانتِ الأحْياء قُلْباً ثِيابُها

وآذنَ بالتصفيقِ مَن ساءَ ظنُّه ... فلم يَدْرِ من أيِّ اليدينِ جَوابُها[٦]

وقال آخر:

قلبْتُ ثيابي والظنون تجولُ بي ... وترمي برجلي نحوَ كلِّ سبيلِ

فلأياً بلأيٍ ما عرفتُ حليلتي ... وأبصرتُ قصْداً لم يُصَبْ بدليل[٧]

(١) الحيوان ١/ ٢٨٦.

(٢) بلوغ الأرب ٢/ ٣٣١.

(٣) من الوَحى أو الوَحاء، أي: العجلة. اللسان (وحى).

(٤) لعل المقصود بها هنا حِرزٌ ما أو تعويذة، أو تمثال ما. قال الزبيدي في التاج ٣١/ ١٤٤ (هكل) «والهيكل: التمثال. قال الصاغانى فأما الحروز والتعاويذ التي يسمونها الهياكل فليست من كلام العرب.»

(٥) صبح الأعشى ١/ ٤٠٥.

(٦) الحماسة البصرية ٤/ ١٦٣٣.

(٧) بلوغ الأرب ٢/ ٣١٦.

– ومنها: التعشير. قال الجاحظ: « كانوا إذا دخل أحدهم قريةً من جِنِّ أهلها، ومن وباء الحاضرة، أشدَّ الخوفَ، إلاّ أن يقِف على باب القَرية فيعشِّرَ كما يعشِّرُ الحمارُ في نهيقه[١]، ويعلِّق عليه كعبَ أرْنب»[٢]. قال الشاعر:

ولا ينفَــعُ التَّعْــشيرُ إن حُــمَّ واقــعٌ ولا زعـزعٌ يُغْنِي ولا كَعْـبُ أرنـبِ[٣]

قال عروة بن الورد:

لعمرِي لئن عَشَّرْتُ من خشية الرَّدَى نُهــاقَ حمــيرٍ إننــي لجَــزوعُ[٤]

ذكر الهيثم بن عدي أن عروة وأصحابه ذهبوا إلى خيبرَ يمتارون منها فعشَّروا خوفاً من وباء خيبر، إلا عروة أبى أن يعشر. وقال شعراً منه البيتُ السابق، قال: فدخلوا وامتاروا ورجعوا، فلما بلغوا إلى روضة الأجداد (منطقة) ماتوا إلا عروة[٥]. ويقال في المثل: «عشَّرَ والموتُ شَجا الوَريد» المراد قربُ أجله، يضرب لمن يجزع حين لا ينفعه الجزعُ[٦].

–و منها تعليقُ الحُلِيِّ على السليم. كانوا يعلقون الحلي على الملسوع ويقولون إنه

(١) عَشَّرَ الحِمَارُ تَعْشيراً : تابَعَ النَّهِيقَ عَشْراً ووَالى بين عشْرِ تَرْجِيعَات في نَهِيقه فهو مُعشِّرٌ ونَهِيقُه يُقال له التَّعْشيرُ. التاج ١٣/ ٥٠ (عشر).

(٢) الحيوان ٦/ ٣٥٨.

(٣) سبق البيت عند الحديث عن زعم: كعب الأرنب.

(٤) الحيوان ٦/ ٣٥٨، والتاج ١٣/ ٥٠ (عشر).

(٥) عن معجم البلدان٣/ ٨٤–٨٥ (روضة الأجداد) باختصار.

(٦) مجمع الأمثال ٢/ ٣٨٦.

إذا علق عليه أفاق، فيلقون عليه الأسورة والرعاث، ويتركونها عليه سبعة أيام ويمنع من النوم[١]. قال النابغة:

يُسَهَّدُ في وَقْتِ العشاءِ سَليمُها لِحَلْيِ النِّساء في يديه قَعَاقِعُ[٢]

و يقول رجل من عُذْرَة:

كأني سليمٌ نالَه كَلْمُ حيَّةٍ تُرَى حولَه حَلْيُ النساءِ مُرَصَّعَا[٣]

– ومنها حَيضُ السَّمُرة[٤]. كانوا يضعون على الصبي، إذا خِيف عليه نظرةٌ أو خَطْفةٌ، شيئًا من حيض السمرة، فيحميه من الآفات والجن[٥].

قالت امرأة تصف ولداً:

كانتْ عليه سِنَّةٌ من هِرَّه وثعلبٍ والحَيْضُ حيضُ السَّمُره[٦]

– ومنها خرزة السلوان. كانت لهم خَرَزة يزعمون أن العاشقَ إذا حكَّها وشرب ما يخرج منها صبرَ، وتسمى السُّلْوان[٧]. قال رؤبة:

---

(١) نهاية الأرب ٣/ ١٢٤.

(٢) الحيوان ٤/ ٢٤٨. يسهد: لا يترك أن ينام، والقعاقع: الجَلاجل.

(٣) الحيوان ٤/ ٢٤٨.

(٤) السمرة من شجر الطلح، وحيضها شيء يسيل في حمرة دم الغزال. وكانت العرب إذا ولدت المرأة أخذوا من دم السمر – وهو صمغه الذى يسيل منه – ينقطونه بين عيني النفساء، وخطّوا على وجه الصبي خطًّا، ويسمى هذا الصمغ السائل من السمر الدُّوَدِم. بلوغ الأرب ٢/ ٣٢٥.

(٥) عيار الشعر ص ٦٥.

(٦) صبح الأعشى ١/ ٤٠٦.

(٧) عيار الشعر ص ٥٤.

لــو أشرَب الــسُّلْوانَ مــا شُــفِيتُ مــا بي غِنَــىً عنــكِ وإنْ غَنِيــتُ[١]

–و منها دائرة المَهْقُوع.[٢] يزعمون أن الفرس إذا عرِق تحت صاحبه، اغتلمت حَليلتُه وطلبت الرجالَ[٣]. قال الشاعر:

إذا عــرِقَ المَهْقــوعُ بــالمرء أنْعَظَــتْ حَليلتُــه وازْدَادَ حَــرًّا عِجَانُهــا[٤]

– ومنها أن دماء المتباغضين لا تمتزج. قال علي بن بَدَّال، من بني سليم:

لعَمــرُك إننــي وأبــا ريــاحٍ عــلى حــالِ التَّكــاشُرِ منــذ حــينِ
لأُبْغِــضه ويُبغِــضني وأيــضاً يــــراني دونَــــه وأَراه دُوني
فلــو أنّــا عــلى حَجَــرٍ ذُبِحْنــا جــرَى الــدَّميانِ بــالخبَرِ اليقــينِ[٥]

ومراده بالخبر اليقين أن دماء المتباغضين لا يمتزج بعضُها مع بعض.

وقال المتلَمِّسُ:

أَحــارِثُ إنَّــا لــو تُــسَاطُ دِماؤنــا تــزايَلْنَ حتــى لا يَمــسَّ دمٌ دَمــا[٦]

(١) التذكرة الحمدونية ٧/ ٣٣٩.

(٢) قال أبو عبيدة: في الفرس أربعَ عشرةَ دائرةً، منها الدائرة التي في عُرْضِ زَوْره، وهي الهَقْعة، وهي دائرة الحزام. وقيل هي دائرة بجنب بعض الدوابّ يُتشاءَمُ بها، وقد هُقِعَ هَقْعاً، وأنشد:
إذا عرِقَ المَهْقوعُ..إلخ المخصص ٦/ ١٤٧.

(٣) صبح الأعشى١/ ٤٠٨.

(٤) عيار الشعر ٥٩. (هقع). أنعظت: اهتاجت، وعِجانُ المرأَة: الوَتَرَةُ التي بين قُبُلِها وثَعْلَبَتِها، أي ما بين القبل والدبر.

(٥) أمالي الزجاجي ص ٢٠.

(٦) الشعر والشعراء ١/ ١٨١، والحماسة البصرية ١/ ١٣١.

قال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» بعد أن حكم على بيت المتلمس هذا بالكذب والإفراط: «ومثله قول رجل من بني شيبان: كنت أسيراً مع بني عم لي، وفينا جماعة من موالينا، في أيدي التغالبة، فضربوا أعناق بني عمي وأعناق الموالي على وَهْدةٍ من الأرض، فكنت والله أرى دمَ العربي يَنْماز من دم المولى حتى أرى بياضَ الأرضِ بينهما، فإذا كان هجيناً قام فوقه ولم يعتزل عنه! »[١].

- ومنها: ذهاب الخَدَر: يزعمون أن الرجل إذا خدِرت رجلُه فذكر أحبَّ الناس إليه ذهب عنه[٢]. قال كُثَيِّر:

إذا خَدِرتْ رِجْلي دعوتُكِ أَشْتفي بذكراكِ من مَذْلٍ بها فَيَهونُ[٣]

وقالت امرأة من كلاب:

إذا خَدِرتْ رِجلي ذَكَرْتُ ابنَ مُصْعَبٍ فإن قلت: عبد الله أَجْلى فُتُورَها[٤]

و قال الأُقَيْشِر:

وما خَدِرَتْ رِجْلايَ إلّا ذَكَرْتُكُمْ فَيَذْهَبَ عن رِجْلَيَّ ما تَجِدانِ[٥]

- ومنها رمي سِنِّ الصبي المُثْغِر في الشمس. يقولون: إن الغلام إذا أَثْغرَ فرمى سنَّه في عين الشمس بسبّابته وإبهامه، وقال: أبدليني بها أحسنَ منها، أَمِنَ على أسنانه

(١) ١/ ١٨٣.

(٢) عيار الشعر ٥٧.

(٣) نهاية الأرب ٣/ ١٢٥. والمذل: الفتور والخدَر.

(٤) نهاية الأرب ٣/ ١٢٥.

(٥) الحماسة البصرية ٣/ ١٠١٧.

العَوَجَ والفَلَج والنَّغَل[١]. قال طَرَفة:

بدَّلْتُــــه الـــــشمسُ مـــــن مَنْبِتِـــــه بَـــرَداً أبـــيضَ مَـــصْقُولَ الأُشُرْ[٢]

– ومنها شق الرِّداء والبُرْقُع لدوام المحبة. زعموا أن المرأة إذا أحبّت رجلاً أو أحبَّها ولم تَشقَّ عليه رداءَه، ويشق عليها بُرقعَها، فسد حبُّهما[٣].

قال سُحيمٌ عبد بني الحَسْحاس:

فكَــمْ قــد شــقَقْنا مــن رداءٍ مُحــبَّرٍ ومن بُرْقُع عن طِفْلةٍ غيرِ عَانِسِ[٤]

إذا شُــقَّ بُــرْدٌ شُــقَّ بــالبُرْد برقــعٌ دَواليـكَ حتَّـى كلُّنـا غـيرُ لَابِـسِ[٥]

وفي خزانة الأدب: « ومعناه: أن العرب يزعمون أن المتحابين إذا شق كل واحد منهما ثوبَ صاحبه دامت مودتهما ولم تفسد. وقال أبو عبيدة: كان من شأن العرب إذا تجالسوا مع الفتيات للتغزل أن يتعابثوا بشق الثياب لشدة المعالجة عن إبداء المحاسن. وقيل إنما يفعلون ذلك ليذكر كلُّ واحد منهما صاحبَه به. وقال العيني: كانت عادة العرب في الجاهلية أن يلبس كل واحد من الزوجين بُرْدَ الآخر، ثم يتداولان على تخريقه حتى لا يبقى فيه لبس، طلباً لتأكيد المودة. وقال الجوهري: يزعم النساء إذا شق أحد الزوجين عند

(١) صبح الأعشى ١/ ٤٠٧.

(٢) مجالس ثعلب ١/ ٣١٩. الأشر: التحزيز في الأسنان.

(٣) صبح الأعشى١/ ٤٠٧.

(٤) يرى البغدادي أن الأَوْلى كونُ طفلة، بكسر الطاء، لا فتحها مناسبة لقوله: غير عانس. الخزانة ٢/ ١٠١.

(٥) عيار الشعر ص ٥٢، والحماسة البصرية ٤/ ١٦٣٣.

البضاع شيئاً من ثوب صاحبه دام الود بينهما، وإلا تهاجرا»[١].

- ومنها عقد الرَّتَم[٢]. كان الرجل إذا خرج في سفَرٍ عمَدَ إلى شجر الرتم فعقَدَ بعضَ أغصانِه ببعض، فإذا رجع من سفرٍ فأصابه على تلك الحال قال: لم تخني امرأتي، وإن أصابه وقد انحل قال: قد خانتني[٣]. قال الشاعر:

هل ينفعنْكَ اليوم إنْ همَّتْ بهم كثرةُ ما توصي وتَعْقادُ الرَّتَمْ[٤]

وقال آخر:

خانته لما رأتْ شيباً بمَفرِقِه وغرَّهَ حَلْفُها والعَقْدُ للرَّتَمِ[٥]

- ومنها مسحُ الطارفِ عينَ المطروفِ. كانوا يزعمون أن الرجل إذا طرفَ عينَ صاحبِه فهاجت فمسحَ الطارفُ عينَ المطروفِ سبعَ مرات يقول في كل مرة: بإحدى جاءت من المدينة، باثنتينِ جاءتا من المدينة، بثلاثٍ جئن من المدينة إلى سبع، سكن هَيَجانُها[٦].

- ومنها نار الاستمطار. يقول عنها الجاحظ: « وهي النّار التي كانوا يَسْتَمْطِرُونَ بها

(١) ٢/ ١٠٠.

(٢) الرَّتَم: نبات من دِقِّ الشجر، كأنه من دقته شبه بالرتَم، وهو خيط يعقد في الإصبع للتذكير. التاج ٣٢/ ٢١٣ (رتم).

(٣) إصلاح المنطق ص ٥٨-٥٩.

(٤) إصلاح المنطق ص ٥٨.

(٥) صبح الأعشى ١/ ٤٠٨.

(٦) صبح الأعشى ١/ ٤٠٦.

في الجاهليَّةِ الأولى؛ فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأَزْمَاتُ ورَكَدَ عليهم البلاءُ، واشتدّ الجَدْب، واحتاجوا إلى الاستِمْطار، استجمعوا وَجَمَعُوا ما قَدَرُوا عليه من البَقَر، ثم عقَدُوا في أذنَابها وبينَ عَراقِيبها، السَّلَعَ والعُشَر[١]، ثمَّ صعدوا بها في جبلٍ وعْرٍ، وأشعَلُوا فيها النِّيرانَ، وضجُّوا بالدُّعاء والتضرُّع، فكانوا يَرَوْن أنّ ذلك من أسبابِ السُقيا »[٢].

تحدث عن هذه النار أمية بن أبي الصلت في شعره قائلاً:

سنةٌ أزْمةٌ تَخيَّلُ بالنَّا ... س ترى للعِضاه فيها صَرِيرا
إذ يَسُفّون بالدقيق وكانوا ... قبلُ لا يأكلون شيئاً فَطيرا
ويسوقون باقرَ السَّهْل للطَّوْ ... د مهازيلَ خشيةً أن تَبورا
عَاقِدينَ النِّيرانَ في شُكُرِ الأَذْ ... نابِ عمْداً كيما تَهيجَ البُحورَا
فاشْتَوتْ كُلُّها فهاجَ عليهم ... ثم هاجتْ إلى صبيرٍ صَبيرا
فرآها الإلهُ تُرْشَمُ بالقَطْ ... ر وأمْسَى جَنَابُهم مَمطورا
سَلَعٌ ما ومِثْلُه عُشَرٌ ما ... عائلٌ ما وعالتِ البَيْقورا[٣]

وقال الوَرَلُ الطائيُّ:

لا دَرَّ دَرُّ رِجَالٍ خابَ سَعْيُهُمُ ... يَسْتَمْطِرونَ لَدَى الأَزْمَاتِ بالعُشَرِ
أجاعلٌ أنتَ بيْقُوراً مُسَلَّعَةً ... ذَريعةً لك بين اللهِ والمَطَرِ[٤]

(١) نوعان من الشجر. اللسان (سلع، عشر).

(٢) الحيوان ٤/ ٤٦٦.

(٣) ديوان أمية ص ٣٩٦-٣٩٩.

(٤) الحيوان ٤/ ٤٦٨. والبيقور المسلعة: البقر الموضوع في أذنابها وبين عراقيبها السلع.

- ومنها نار السليم، توقد للملدوغ إذا سهر، وللمجروح إذا نزف، وللمضروب بالسياط، ولمن عضه الكَلْب الكَلِب، لئلا يناموا فيشتدَّ بهم الأمر، ويؤدي إلى الهلاك[١].

- ومنها الهامة. كانت العرب تقول: إذا قُتل الرجل فلم يُدرَكْ بثأره خرج من هامته طائرٌ يسمى الهامةَ، فلا يزال يقول: اُسْقوني اُسْقوني حتى يُقتَل قاتلُه فيسكُن[٢].

قال ذو الإصبع العَدْواني:

يــا عمــرُو إلّا تَــدَعْ شَــتْمي ومَنْقــصتي

أَضْرِبْـك حيـثُ تقـول الهامـةُ: اسـقوني[٣]

وبعضهم كان يزعم أن النفس طائر ينشط من جسم الإنسان إذا مات أو قتل، ولا يزال متصوِّراً في صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشاً له.[٤] وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيراً ويكبر حتى يصير كضَرْبٍ من البوم ويتوحش ويصرخ، ويوجد في الديار المعطَّلة والنَّواويس ومصارع القتلى، ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلمَ ما يكون من خبره فتُخبرَ الميت[٥].

ويروي ياقوت الحموي قصة جرت بين المتنبي و أبي الحسن المهلبي النحوي (علي بن أحمد، المتوفى عام ٣٨٥هـ)[٦]. قال أبو جعفر الجرجاني: قال أبو الحسن

(١) الخزانة ٧/ ١٤٨.

(٢) أمالي القالي ١/ ١٢٩.

(٣) المفضليات ص ١٦٠، وأمالي القالي ١/ ١٢٩.

(٤) المستطرف ٢/ ٣٨٤.

(٥) المستطرف ٢/ ٣٨٥.

(٦) ذكر السيوطي في بغية الوعاة ٢/ ١٤٧ أنه توفي عام ٣٣٥؟

المهلبي النحوي: وقع بيني وبين المتنبي في قول العَدْواني:

يـا عمـرو إلّا تـدعْ شَـتْمي ومَنْقـصتي أَضْربْـك حيـث تقـول الهامـةُ اسـقوني

وذلك أن المتنبي قال: إن الناس يغلطون في هذا البيت، والصواب: اشقوني، من شقوت رأسه بالمشقاة وهو المشط، قال المهلبي: فقلت له: أخطأت في وجوه: أحدها أنه لم يُرْوَ كذلك، والآخر أنه يقال: شقأت بالهمزة، وأيضاً فإني أظنك لا تعرف الخبر فيه، وما كانت العرب تقوله في الهامة أنها إذا لم يثأر بصاحبها لا تزال تقول: اسقوني، فإذا ثأروا به سكن كأنه شرب ذلك الدم[١].

– ومنها وَطءُ المقاليتِ للقتلى. كانوا يزعمون أن المرأة المِقْلاتَ[٢] إذا وَطِئتْ قتيلاً شريفاً بقي أولادُها إذا وطئته سبع مرات[٣]. وفي ذلك يقول بشر بن أبي خازم:

تظَـــلُّ مَقَاليـــتُ النـــساءِ يَطْأنَـــه يَقُلْـنَ: ألا يُلْقَـى عـلى المَـرء مِئْـزرُ[٤]

و قال آخر:

بنفـسي الـذي تمـشي المقاليـتُ حولَـه يَطَـأْنَ لـه كَـشْحاً هَـضيماً مُهَـشَّما[٥]

(١) معجم الأدباء ٤ / ١٦٤٥ .

(٢) هي التي لا يعيش لها ولد، والجمع مقاليت.

(٣) الحماسة البصرية ٤/ ١٦٣٦ بتصرف يسير.

(٤) الحماسة البصرية ٤/ ١٦٣٧.

(٥) بلوغ الأرب ٢ / ٣١٨.

المصادر والمراجع

- **أدب الكاتب**. ابن قتيبة. تحقيق محمد الدالي. مؤسسة الرسالة: بيروت . ط٢. ١٩٨٦ .
- **الأشباه والنظائر**. الخالِديّان. تحقيق السيد محمد يوسف. لجنة التأليف والترجمة والنشر: القاهرة. ١٩٥٨-١٩٦٥ .
- **إصلاح المنطق**. ابن السِّكِّيت. تحقيق شاكر وهارون. دار المعارف: القاهرة. ط ٤ .
- **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**. محمود شكري الألوسي. عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري. دار الكتب العلمية: بيروت. ١٣١٤ .
- **التذكرة الحمدونية**. ابن حمدون. تحقيق إحسان عباس. دار صادر: بيروت. ١٩٩٦ .
- **الحماسة البصرية**. علي بن الحسن البصري. تحقيق عادل سليمان جمال. الخانجي: القاهرة. ١٩٩٩ .
- **الحيوان**. الجاحظ. تحقيق هارون. دار الكتاب العربي: بيروت. ١٩٦٩ .
- **خزانة الأدب**. البغدادي. تحقيق هارون. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩-١٩٨٦ .
- **درة الغواص في أوهام الخواص**. القاسم بن علي الحريري. تحقيق بشار بكور. دار الثقافة والتراث: دمشق. ٢٠٠٢ .
- **الزاهر في معاني كلمات الناس**. ابن الأنباري. تحقيق حاتم الضامن. دار البشائر: دمشق. ط٣ ٢٠٠٤ .
- **سمط اللآلي**. أبو عبيد البكري. تحقيق الميمني. لجنة التأليف والترجمة والنشر: القاهرة. ١٩٣٦ .
- **شرح الحماسة**. المرزوقي. تحقيق أمين وهارون. لجنة التأليف والترجمة والنشر: القاهرة. ١٩٥١ .
- **الشعر والشعراء**. ابن قتيبة. تحقيق أحمد شاكر. دار المعارف: القاهرة. ١٩٦٦ .
- **صبح الأعشى**. القلقشندي. دار الكتب المصرية: القاهرة. ١٩٢٢ .
- **العصر الجاهلي**. شوقي ضيف. دار المعارف: القاهرة. ١٩٦١ .
- **العقد الفريد**. ابن عبد ربه. تحقيق أمين والزين والأبياري. دار الكتاب العربي: بيروت. ١٩٨٦ .

- **عيار الشعر**. ابن طَبَاطَبَا. تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع. الخانجي: القاهرة. ١٩٨٥.
- **الكامل**. المبرد. تحقيق محمد الدالي. مؤسسة الرسالة: بيروت ط٣. ١٩٩٧.
- **مجمع الأمثال**. الميداني. محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الجيل: بيروت. ١٩٨٧.
-**المستطرف**. الأبشيهي. تحقيق إبراهيم صالح. دار صادر: بيروت ط٢. ٢٠٠٤.
- **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**. جواد علي. دار العلم للملايين: بيروت؛ مكتبة النهضة: بغداد. ١٩٧٦.
- **المفضليات**. المفضل الضبي. تحقيق شاكر وهارون. دار المعارف: القاهرة. ط٣. ١٩٦٤.
- **نهاية الأرب في فنون الأدب**. شهاب الدين النويري. نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة. (مصورة عن دار الكتب المصرية).